معركة الدردنيل

لشاعر الاسلام محمد بك عاكف
أستاذ الأدب التركى بالجامعة المصرية

هذه قصيدة رائعة نظمها شاعر الترك الكبير محمد بك عاكف أستاذ الأدب التركى بالجامعة المصرية ، آثرت أن أنشرها مترجمة كى يطلع عليها قراء «المعرفة» ، وهى آية من آيات البيان فى الأدب التركى ، تناول فيها عاكف بك وصف أهوال الحرب التى كان يرادبها ضرب الذلة والمسكنة على الأتراك ، حتى يستطيع الحلفاء الوصول إلى الروسيا ، وقد وجهت قوات عظيمة من الأسطول البريطانى لاختراق البوغازين فى فبراير سنة ١٩١٥ ، ولكنها فشلت ولذا عززت القوات البحرية بقوات برية أنزلت فى غاليبولى لتتعاون القوتان على إخضاع الأتراك ، وفتح طريق الروسيا ؛ ولكن هذه الحملة الجديدة التى كانت تتكون فى الغالب من جنود أسترالية ونيوزلندية ، لاقت صلابة وشدة من الأتراك أذهلت الحلفاء ، وهذه الموقعة صفحة مجيدة من صفحات التاريخ التركى ، تمثل لنا الأتراك وقد استماتوا فى الدفاع عن وطنهم ، وردوا الحلفاء خاسرين .

ولنا وقفة أخرى عن حياة الشاعر الأدبية وشاعريته ، وما له من المكانة عند الشعب التركى .

* * *

ما حرب الدردنيل هذه ؟ ؟ وهل لها نظير فى العالم ؟

أربعة أو خمسة من جيوش الدنيا الجرارة تهجم هجوما عنيفا على قطعة صغيرة من البر ، محاطة بكثير من الأساطيل ، كى يتمكنوا من فتح الطريق إلى مرمرة .

أى حشد مخز هذا الذى قد سد الآفاق ؟ ؟

أينما وجدوا من أسراب الضبع المفترسة العديمة الشعور ، التى تدعو الأنسان ، بما أرته من توحش ، لأن يجزم بأنها أوربية جاءوا بها من غياهب السجون أو الأقفاص ! !

الدنيا القديمة والدنيا الجديدة وكل أقوام البشر ، يموج [١] بعضها فى بعض : فوجا فوجا كالرمال تذرها الرياح أو الطوفان .

أقاليم الدنيا السبعة تقف أمامك ، فحينما تنظر يقع بصرك على كندا جانب أستراليا : الوجوه مختلفة اللغات ، والجلود ألوان : وليس بينهم وصف جامع سوى تساويهم فى الوحشية ! !

منهم نيام نيام ! ! ومنهم هندوس ! ! ومنهم لا أدرى أية مصيبة ! !

إن هذا الاستيلاء ذل وصغار : لا يصدران حتى من الطاعون !! هل ترى القرن العشرين هذا ! ! ذلك المخلوق النجيب قد وقف أمام « محمد جك » [٢] شهورا متوالية : فقاء كل من كان يعنى بهم من الأوغاد ، وصب ما فى بطنه من الأسرار بغير خجل ولا حياء ! !

إن ذلك الوجه كان لا يزال فتنة لنا : فعند ما مزق نقابه ، إذا المومس التى نطلق عليها « مدنية » كانت خليعة جداً !! وناهيك بوسائل التخريب فى يدهذه الملعونة : فانها أصبحت مدهشة جداً ، تكفى واحدة منها لتدمير مملكة .

* * *

من هناك تمزق الصواعق [٣] الآفاق ، ومن هنا تبعثر الزلازل [٤] خبايا الأرض ، إن بروق القنابل تنزل من أعلى المتاريس ، فتخمد — على صدور ذلك النفر الباسل آلافا من الألغام تحت الأرض ، كالجحيم وما يحرقه كل لغم مشتعل — مئات من الناس ، فالسماء تمطر الموت والأرض تغور بالموتى ! !

ما أدهش تلك العاصفة التى لا تنسف إلا أنقاض البشر !! فالرءوس والعيون والجذوع والسيقان والأذرع والأصابع والأيدى والأرجل ، تنهمر على التلال والوديان دفعة دفعة ! !

تلك الأيدى الأثيمة [٥] تنثر ، وهى مغطاة بالدروع ، طوفانا من الصواعق وسيولا من النيران !! وأسراب الطيارات ، التى لا تحصى تقف وترسل نيرانها على صدور عارية ! !

المدافع أكثر من البنادق ، فالذخائر النازلة قذائف ، فانظر إلى هذا الجيش الباسل فانه يسخر من هذا التهديد ، وهو لا يطلب مناعة من الفولاذ ، ولا يستكين أمام عدوه ، فهل الايمان المضاعف فى قلبه من الحصون التى يمكن فتحها ؟ ؟ هيهات لأية قوة أن تذلله لسلطانها ، لأن هذا الاستحكام المتين تأسيس إلهى ! !

* * *

قد تحاصر القلاع الحصينة فتسقط ، لأن صنع البشر لا يقوى على وقف عزم البشر ، أما هذه الصدور فهى حدود الله الأبدية ، التى يقول فيها : إنها صنعى البديع ، فلا تدعها توطأ ! ! فلله در هذا النشء البار ، الذى لم يترك شرفه يوطأ ولن يتركه أبداً ، وها هى الجبال والصخور كلها

(١) فى الاصل التركى : تغلى كغليان الرمال (٢) محمد جك : الجندى التركى (٣) المراد بالصواعق هنا الطيارات (٤) الالغام (٥) المدرعات

مغطاة بجذوع الشهداء ، وتلك الرءوس التى لم تكن لتنحنى فى الدنيا لولا الركوع قد تمددت على الأرض مجروحة جباهها الطاهرة ، فكم من شموس تغرب فى سبيل هلال واحد [1] ! !

* * *

أيها الجندى الذى وقع فى التراب ، لأجل هذا التراب ! ! إنك لجدير بأن ينزل أجدادك من السماء ويقبلوا جبينك الطاهر ! !

ما أعظمك فأن دماءك تنقذ التوحيد ، وليس يدانيك فى جلالة القدر إلا أسود بدر [2] ! !

* * *

من الذى يستطيع أن يحفر قبراً لا يضيق عنك ؟ ؟ فان قلت هلم ندفنك فى التاريخ فهو لا يسعك ، بل لا يستوعب صدره الأدوار التى قلبتها ، وإنما تستوعبك الأبدية ! !

* * *

إن نصبت الكعبة على رأسك قائلا: إن هذه حجارتك، وإن شعرت بوحى روحى وثقلته على تلك الحجارة ، وإن أخذت القبة الزرقاء باسم الرداء ، وفرشتها بكل أجرامها على لحدك الدامى ، وإن عرشت السحب الدكناء على تربتك المفتوحة ، وأدليت منها الثريا ذات القناديل السبعة ، وإن أتيت بالبدر ليلا إلى جانبك ، بينما أنت متمدد مرتد دماءك تحت هذا النجف ، وجعلته يحرسك حتى الفجر ، كسادن لقبرك ، وإن أقمت نجفك نهاراً بضوء الفجر ، وإن عصبت جرحك بالغرب المهلهل مساء . . . فلا أستطيع أن أقول قد فعلت شيئا لذكراك ! ! !

* * *

فانت وقد كسرت صولة أهل الصليب الأخير ، فجعلت صلاح الدين — وهو أحب سلاطين الشرق — حائراً مبهوتا أمام جلالك، كما أذهلت ذلك السلطان العظيم، (قلج أرسلان) ! ! وأنت وكان الخسران محيطا بالاسلام ، وآخذاً بخناقه، فكسرت ذلك الطوق الحديدى على صدرك ومزقته ! ! وأنت واسمك يسير فى الأجرام مع روحك ، وأنت ولو دفنت فى الأعصار لتفيض عنها ، فان هذه الآفاق لا توافقك ولا تسعك هذه الجهات ! !

أيها الشهيد ابن الشهيد ! لا تسألنى مقبراً ، فها هو النبى ينتظرك فاتحاً ذراعيه ! !

عبد الحميد الدواخلى

ليسانسيه فى اللغة العربية واللغات الشرقية

---

(١) المراد به العلم التركى (٢) الغزوة النبوية الشهيرة